مجلة الإحياء، المجلد: 22، العدد: 30، جانفي 2022، ص - ص: 943 – 956
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

القبائل العربية بالمغرب الإسلامي (ق 5هـ-11م)
التواجد الهلالي بين القطيعة السياسية والأزمة الاقتصادية

The Hillali tribes in Islamic Maghreb (05h-11ad)
Between the political rupture and the economic crisis

طالب دكتوراه أحمد بن بلخير[1] د/ عبد القادر بوعقادة
جامعة علي لونيسي – البليدة 2
مخبر الدراسات التاريخية والمتوسطية عبر العصور، جامعة يحيى فارس - المدية
Benbelkheir28@gmail.com bouagada_aek@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2021/01/10 تاريخ القبول: 2021/10/28

الملخص:
شكّل دخول القبائل العربيّة الهلالية والسليميّة إلى إفريقية والمغرب منتصف القرن05ه/11م حدثاً مهمّاً في تاريخ بلاد المغرب، إذ ترتّب عليه العديد من النتائج التي يراها البعض إيجابيّة – كتعريب المنطقة -، بينما يراها الطرف الآخر والمتمثّل أساساً في المستشرقين- أمثال جورج مارسيه وروبر برانشفيك- ومن تبعهم بنقطة انحطاط الحضارة الإسلامية وقد سمّاها بعضهم- الهادي روجي إدريس- الكارثة الهلالية، ولئن اعتبر المؤرخون أنّ القطيعة هي السبب الرئيس لهجرة تلك القبائل، فإنّ هناك عاملاً آخر لا يقلّ أهمية عن الأوّل ألا وهو الأزمة الاقتصادية الخانقة التي شهدتها مصر أواخر القرن 4هـ/10 م وبداية القرن 5هـ/11م.

وُصفت هذه القبائل العربيّة بعد دخولها إلى المغرب بالمخرّبة لكل أنواع الحضارة والعمران، لكن يبدو أنّ أمراء صنهاجة بفرعيها الزيري والحمّادي قد ساهموا بدورهم في ذلك التخريب الذي طال العديد من المدن المغربيّة كالقيروان مثلاً، وأكبر دليل على ذلك موقعتي جبل حيدران 443هـ، وموقعة سبيبة 457هـ، الأولى أدت إلى دخول الهلاليين إلى القيروان والثانية انتشرت فيه القبائل الهلالية بالمغرب الأوسط انتشاراً كبيراً.

وقد خلُصنا من خلال هذه الدراسة إلى أمرين اثنين: أوّلهما أن القطيعة بين الطرفين والتي أدّت إلى تأزّم العلاقات بينهما كان لها كبير الأثر في عبور القبائل العربية الهلالية إلى المغرب، ثاني هذه النتائج هي أنّ الأزمة الاقتصادية الخانقة التي عانى منها المشرق الإسلامي في تلك الفترة شكّلت عاملاً مهمّا في تهجير الهلاليين، كما ساهمت بشكل عكسي في التخفيف من الضغط المفروض على بلاط الفاطميين بمصر، هذا كلّه جعل من التغريبة الهلالية حقلاً واسعاً لأقلام المستشرقين.

الكلمات المفتاحية: بني هلال؛ القبائل العربية؛ القطيعة السياسيّة؛ الأزمة الاقتصادية؛ المغرب الإسلامي.

Abstract:

The entry of the Arab tribes of Bani-Hilal and Soulaimi to the Ifriqiya and Almaghreb in Mid of the 05h /11 century; was a landmard in the history of this areas because of its various consequences – some see it as positive (arabisation of this area); while others consider it as negative – mainly orientalists like George marselle and Robert Branchfek – because they

[1] المرسل المؤلف.

consider it as the decadence of the Islamic civ; and some like Alhadi Roger Idriss; went be y ond this and labeled it as “the Hilali catastrophy”.

After their arrival; the Hilalians were depicted as Destructive and plundering hords to all from of Civilized life and Urbanism; but what should be noticed is the contribution of Sanhaji rulers (Zirids and Hammadi) to the ruining of Maghreb cities like Kairouan manifesting in Battles like “Haydaran 443 AH ; and Sabiba 457 AH “ , the first led to the entry of Bani Hilal to Kairouan , while the secand opened the door to the spread of Hilalians in the Central Maghreb.

We concluded through this study to two things; the rupture between the two sides was a prime cause to the immigration of Bani-Hilal to the Almaghreb; and the second factor is the economic crisis that suffocated the eastern Islamic countries and this made Taghribt Bani-Hilal a large field for orientists to write about.

Key words: Bani hilal; Arab tribes; The political rupture; the economic crisis; Islamic Maghreb.

مقدّمة:

شهدت مصر منتصف القرن 5هـ/11م حدثا مهمّاً تمثّل في عبور القبائل العربية نحو المغرب الإسلامي، هذه القبائل التي سكنت صعيد مصر وأفسدت فيه نشبت بينها العديد من الحروب وأصبحت تشكّل خطراً على أمن البلاد المصريّة، ممّا أدّى بالخليفة الفاطمي المستنصر إلى ترحيلها نحو إفريقية والمغرب متحجّجاً بالقطيعة السياسيّة التي أعلنها المعزّ بن باديس الذي خاطب وزير الفاطميين اليازوري بالفلاّح، ولكن يبدو أنّ تلك القطيعة لم تكن وحدها السبب، بل هناك سبب آخر لا يقل أهمية ألا وهو الأزمة الاقتصادية التي ضربت العالم الإسلامي في شقّه الشرقي بما في ذلك مصر، هذه الأزمة التي تمثّلت أهمّ مظاهرها في كثرة الأوبئة والمجاعات وغلاء الأسعار أضرّت بمصر كثيراً وأدّت إلى اضطراب في خزينة الدولة بالإضافة إلى ازدياد نفقات الجيش نتيجة الحروب.

ومن هنا يمكن أن نطرح السؤال التالي:

- هل كانت هجرة القبائل العربية - بني هلال وبني سُليم - من مصر إلى المغرب الإسلامي نتيجة العلاقة المتوتّرة بين الدولتين الزيريّة والفاطمية، والتي تمثّلت في قطع العلاقات السياسيّة بينهما؟ أم تداعيات الأزمة الكبيرة التي شهدتها مصر في تلك الفترة؟ أم الأمرين معاً؟
- وما مدى مساهمة صنهاجة بفرعيها الزيري والحمادي في تخريب إفريقية والمغرب؟

نروم من خلال هذه الورقة البحثية تبيان الأسباب الحقيقية لعبور تلك القبائل العربية الهلالية والسّليمية إلى إفريقية والمغرب، إذ يُعتبر هذا الحدث فيصلاً في تغيير مجريات الأحداث ببلاد المغرب بدء من القرن 5هـ/11م، حتى أصبح المستشرقون وهم كُثر يتكلمون عن بداية انحطاط الحضارة الإسلامية بدخول القبائل الهلالية ووصفوها بالكارثة.

وقد حاولنا أن نجيب على هذه التساؤلات في هذه الورقة البحثية من خلال النقاط التالية:

- بيان الموطن الأول لتلك القبائل ومن خلاله نستطيع ولو بنسبة الحكم على ذهنية المجتمع العربي الهلالي، وهل أنّ الخراب الذي طال مدن وعمران إفريقية حصل بالفعل أم لا؟، تناولنا في هذه النقطة الموطن الأول للقبائل العربية الهلالية والسليميّة، بدء من شبه الجزيرة العربية إلى مصر والمغرب، وكذا سياسة التحالفات التي عقدتها تلك المجموعات القبليّة وخاصّة مع القرامطة.

- تناولت النقطة الثانية مشكلة القطيعة السياسية التي كانت بين المعز الصنهاجي والمستنصر الفاطمي، والسبب الرئيس في تطوّر الأحداث وصولاً للقطيعة بعد خطاب المعزّ ابن باديس للوزير اليازوري، وتحديد السنة التي حصلت فيه القطيعة.
- بعد الكلام على الحالة السياسية بين الدولتين، نذكر في هذه النقطة السبب الاقتصادي الذي كان إلى جانب السبب الأول- القطيعة السياسيّة- أحد أهمّ العوامل التي دعت بالمستنصر إرسال القبائل العربية إلى المغرب، هذا السبب الاقتصادي يتمثّل أساساً في الظروف العامة لمصر قبيل هجرة القبائل العربية، وأهمّ مظاهرها -الأزمة الاقتصادية-: توقّف حركة القوافل، وكثرة الأوبئة والمجاعات، وإرهاق خزينة الدولة من خلال الاهتمام بالجانب العسكري.
- أما النقطة الأخيرة فاستدعت منّا النظر بتمعّن في مدى مساهمة أمراء صنهاجة في الخراب الذي طال مدن المغرب، ومحاولة إنصاف تلك القبائل العربيّة والتخفيف من وطأة الهجمة الشرسة التي تعرضّت ولازالت تتعرّض لها القبائل الهلاليّة.

1- المواطن الأولى للقبائل العربية الهلالية:

تعتبر شبه الجزيرة العربية الموطن الأول للقبائل الهلالية[1]، فقد ورد في المصادر التاريخية أسماء الأماكن التي كانت تسكنها كحرّة بني سليم والتي تبعد عن المدينة بعشر فراسخ [2]، ويتكلم اليعقوبي عن مكة وأحوازها فيقول: "ولمكّة من الأعمال رعيلاء الهوذة ورعيلاء البياض وهي معادن سليم وهلال وعقيل بن قيس، وحول مكة من قبائل العرب من قيس: بنوعقيل وبنو هلال وبنو نمير وبنو نصر"[3]، أما ابن خلدون فيوضح لنا أن بنو عامر بن صعصعة كلهم كانوا بناحية نجد، فأمّا بنو هلال فكانوا في بسائط الطائف ما بينه وبين جبل غزوان[4] أما بنو سليم فممّا يلي المدينة[5].

تكاد تتفق المصادر على أن القبائل الهلالية عاشت على هامش مناطق الحضر والاستقرار، بل أن البداوة صفة لازمة فيها، ومنه نجد أنها اعتمدت في كسب عيشها على الإغارة فوصفهم ابن خلدون بقوله " يُغيرون على الضواحي ويُفسدون السابلة ويقطعون على الرفاق، وربّما أغاروا على الحجاج أيام الموسم وأيام الزيارة بالمدينة "[6]، وكذلك وصفهم حسين مؤنس[7]، ويبدو أن ابن خلدون قد كان قاسياً في الحكم على تلك القبائل فإن هذه القبائل لم تكن مصدراً للفوضى ولم تذكرها المصادر بهذه الصفة إلا بعد تحالفهم مع القرامطة وذلك بدءً من القرن الرابع الهجري / العاشر ميلادي وهذا على حدّ قول الباحث إبراهيم جدلة[8].

1-1- الهلاليين وسياسة التحالفات: انضمّت القبائل الهلالية (وبالأخصّ بنو سُليم) إلى حركة القرامطة في القرن 4هـ/10م[9]، واشتركت في الحرب ضدّ العبيديين، ولكن بعد تغلّب العبيديين تمّ إسكانهم بالجانب الشرقي لصعيد مصر بأمر من العزيز بن المعزّ لدين الله الفاطمي[10]، ولكن السؤال المتبادر هنا هو: لماذا نقل العزيز الفاطمي تلك القبائل إلى صعيد مصر مع علمه بالضرر الذي سيلحقه منهم ؟

حقيقة لم تعطنا المصادر التي بين أيدينا تفسيرا لذلك، لكن نجد بعض الإشارات فيما ذكره مبارك الميلي في قوله: "ولم يُبق أحد منهم بنجد سوى العاجز عن الحرب"[11]، إذ نستفيد من هذا النصّ أن العزيز إنما نقل تلك القبائل إلى صعيد مصر ليتقوّى بهم في حروبه، وممّا يدلّ على ذلك هو تركه لكلّ عاجز عن الحرب بنجد.

1-2- الاستقرار بمصر: تشير المصادر التاريخية أن الهلاليين قد كانوا بمصر قبل القرن 4هـ/10م، فقد نزلت من بني سُليم مائة أسرة في بلبيس سنة 109هـ، وظلّ هؤلاء يشتغلون بالزراعة، وظهر منهم من مارس السياسة مثل يزيد بن أُسيد الذي ذكره ابن خلّكان أنّه تولّى مصر سنة 154هـ[12]، كذلك ذكر الميلي أن طائفة من بني سُليم قد نزلت مصر في ولاية عبيد الله بن الحبحاب واتبعتهم أحياء من بني هلال وغلب عليهم الاشتغال بالكسب والزراعة[13]، كما أن هناك قبائل عربية من بني هلال قد استقرّت ببرقة منذ القرن 2هـ/8م[14]، ويُؤيّد ذلك ما ذكره ابن عُذاري المراكشي في البيان المُغرب من أنّ السيدة أمّ ملال وهي أخت نصير الدولة باديس قد أرسلت إلى أخت الحاكم بأمر الله هديّة، فلمّا وصلت تلك الهدايا إلى جهة برقة استولى عليها وأخذها العرب[15]، ويبدو أن العرب الذين كانوا بناحية برقة هم بنو قرّة بن هلال بن عامر بن صعصعة ذكرهم المقريزي ممّن رحلوا من البحيرة من أرض مصر إلى برقة مع كبيرهم مختار بن قاسم[16]، وأكّد ذلك ابن خلدون بقوله: "وكانت برقة آخر موطن للعرب، وكان فيها بنو قرّة بن هلال بن عامر"[17] وكما أسلفنا سابقاً أن العزيز أمر بإسكان هؤلاء بصعيد مصر، ولكن الذي حصل أن تلك القبائل قد أضرّت بالبلاد وأفسدت ونشبت بينها حروب طاحنة[18].

أمّا في المغرب فيبدو أنّ جماعات من بني سُليم وبني هلال قد استقرّت بالمغرب الإسلامي قبل القرن 5هـ/11م، بل أنّ هناك من ولي بعض المدن من قِبل بعض أمراء وسلاطين الدويلات التي قامت بالمغرب، فنجد إشارات في كتاب البلدان لليعقوبي حينما وصف مدينة ميلة بقوله "ميلة عامرة مُحصّنة لم يلها وال قطّ، ولها حصن دون حصن، فيه رجل من بني سُليم يُقال له موسى بن العباس بن عبد الصّمد من قبل ابن الأغلب"[19].

1-3- القطيعة السياسية بين الزيريّن بالمغرب والفاطميين بمصر: الكثير من المؤرخين والباحثين جعل هجرة القبائل الهلالية مرتبطاً بالقطيعة السياسيّة الحاصلة بين المعزّ بن باديس الصنهاجي من جهة والمستنصر ووزيره اليازوري من جهة أخرى، هذه القطيعة في القرن 5هـ/11م قد سبقتها محاولات الاستقلال والانفصال من طرف الزيريّن وكذا محاولة الهيمنة والسيطرة على المغرب من طرف الفاطميين بعد رحيلهم إلى مصر سنة 362هـ، ويحدّثنا حسين مؤنس بأنه في عهد المعزّ لدين الله كان يعلم بمطامع الصنهاجيين ولكنّه ساير ذلك من خلال سياسة المهادنة، وعلى العكس من ذلك كان خلفُه العزيز ثاني الخلفاء حيث اتّجه نحو سياسة خلق الفوضى بالمغرب، وذلك من خلال إرساله لداعية شيعي يُدعى أبا الفهم الذي قام بإثارة قبائل كتامة على المنصور الزيري، لكن محاولته باءت بالفشل ليعود إلى سياسة سلفه المهادنة والمصانعة[20]، وكذلك حدث مع الحاكم بأمر الله مع محاولة واليه على برقة السيطرة على طرابلس بعلمه ففشلت المحاولة، ليُعيد الكرّة مرّة أخرى مع فلفل بن سعيد الزناتي للسيطرة على المدينة، ولكن المحاولة فشلت هي الأخرى ليعود إلى المصانعة والمهادنة[21].

ويبدو أن تلك السياسة المنتهجة من طرف الخلفاء الفاطميين بدءً بالخليفة الأول بمصر المعزّ لدين الله (341ه-365ه) وخلفه من بعده إنّما كانت محاولة منهم لردع أمراء بني زيري وتخويفهم وتحذيرهم من مغبّة الانفصال والاستقلال، فكان الردّ من أمراء صنهاجة بالقضاء على تلك الفتن، حتى كان عصر المعزّ بن باديس الصنهاجي الذي حدثت في ولايته القطيعة السياسيّة وسارت فيه العلاقات بين الطرفين نحو التأزّم.

1-4- سبب قطع العلاقات مع بلاط الفاطميين: يمكن إرجاع سبب القطيعة بين الدولة الزيريّة الصنهاجية والدولة الفاطمية إلى الخطاب الذي أرسله المعزّ بن باديس إلى وزير المستنصر اليازوري، فقد خاطبه بما لم يُخاطب به أسلافه كالجرجرائي، فقد كانت خطاباته لهم مليئة بعبارات تُعلي من مقامهم، إلّا أنه في كلامه

للوزير المذكور خاطبه بصنعته ومهنته وهي الفلاحة والتبانة[22]، وقد حصل إثر ذلك من المغاضبة والمباعدة بينهما الشيء الكثير.

لكن يبدو أنّ القطيعة كانت قبل ذلك بكثير (وإنّما الخطاب كان سبباً مباشرا)، ففي سنة 407هـ أورد ابن الأثير نصّاً فيه "أنّ المعزّ ركب ومشى في القيروان، والنّاس يُسلّمون عليه ويدعون له فاجتاز بجماعة فسأل عنهم فقيل هؤلاء رافضة يسبّون أبا بكر وعمر فقال: رضي الله عن أبي بكر وعمر، فانصرفت العامّة من فورها إلى درب المقلى من القيروان، وهو تجتمع فيه الشيعة فقتلوا منهم... "[23]، ولا نستغرب من هذا الكلام إذا علمنا أن تأديب المعزّ بن باديس وتعليمه إنّما كان على يد رجل من أهل العلم بالسُنّة على مذهب الإمام مالك ألا وهو ابن أبي الرجال[24]، ولكن ما يدعو للحيرة هو السنّ التي كان فيها المعز فهو في سنة 407هـ لم يتجاوز التاسعة من عمره، فهل كانت له القدرة والجُرأة على أن يقطع علاقة الدولة مع الفاطميين بهذه السهولة؟

يجيب ابن عذاري في بيان ذلك بأنّ ما ساعد على قطع العلاقة هو ما كان في نفوس النّاس من الكراهة لبني عبيد، فقد كانت نفوسهم مُهيّأة لذلك يقول ابن عُذاري: " ظلّت صنهاجة تخطب لبني عبيد دهراً على المنابر وتذكر أسماؤهم وكان النّاس كارهون لذلك، فكان بعضهم إذا بلغ المسجد قال سرّاً (اللّهم اشهد، اللّهم اشهد) ثمّ ينصرف، فيُصلي الجمعة ظهراً، وانتهى بهم الحال حتى لم يحضر الجمعة من أهل القيروان أحد، فتعطّلت الجمعة دهراً"[25]، ولُعن بعدها بنو عبيد على المنابر بأمر من المعزّ[26].

وحاول بعض المستشرقين منهم جورج مارسيه تفسير القطيعة السياسية اعتماداً على الانتماء العرقي، فأرجع السبب الرئيس في ذلك إلى نفور البربر من العرب والعداء الكبير الذي يُكنّونه لهم[27]، ولكن هيهات له هذا البيان والتفسير إذ تُجيب عليه القرون الطويلة من التعايش بين العرب والبربر في ظل حكم الدويلات المتعاقبة.

1-5- تحديد سنة القطيعة: لا يمكن الجزم بسنة معينة للقطيعة الحاصلة بين الزيريين والفاطميين نظراً للاختلاف الكبير الموجود في المصادر التي تكلّمت على تلك الحوادث، فهناك من يجعل من سنة 407هـ بدايةً للقطيعة مع قيام المعزّ بالترضّي على الشيخين وإظهار السنّة وقتل الشيعة[28]، لكن ابن الأثير يعود ليضع القارئ أمام تاريخ آخر وهو سنة 435هـ، ذكر في حوادث هذه السنة أنّ المعزّ قطع الخطبة للفاطميين وأظهر الدعاء للقائم بأمر الله العباسي، فوردت عليه الخلع والتقليد وسمّاه بـ (الملك الأوحد، ثقة الإسلام وشرف الإمام وعمدة الأنام، ناصر دين الله، قاهر أعداء الله، ومؤيّد سنّة رسول الله ﷺ، أبي تميم المعزّ بن باديس وليّ أمير المؤمنين بولاية جميع المغرب، وما افتتحه بسيف أمير المؤمنين) وهو ما ذكره المقريزي كذلك[29].

وهناك من يرى أن سنة 433هـ سنة إظهار الدعوة للعباسيين[30]، أمّا ابن خلدون فقد جعل من مخاطبة المعز للوزير اليازوري بالفلاّح سببا في قطع العلاقة وكان ذلك سنة 437هـ[31].

لنجد أنفسنا أمام تاريخ آخر وهو 440هـ، وهو قول ابن الأثير[32] وابن عذاري في البيان المغرب33، وتبعهما كلٌّ من حسين مؤنس ومبارك الميلي[34]، قال ابن عذاري "أنّ المعزّ كان يُعمل فكره في قطع العلاقة"[35]، وقال في موضع آخر: "أن الخطبة قُطعت لصاحب مصر وأُحرقت البنود وكان ذلك سنة 440هـ"[36].

ويورد صاحب النجوم الزاهرة في حوادث سنة 443 ه أنّ المعزّ أقام الدعوة للعباسيين وأبطل الدعوة لبني عبيد خلفاء مصر ووافقه على ذلك ابن عذاري مُستدلّاً بلبس السواد في القيروان[37].

تردُ إشارة قويّة عند ابن عذاري وتعتبر دليلاً قويّاً على قطع العلاقة، ألا وهي ضرب السكّة، ففي سنة 441هـ ضُرب الدينار المُسمّى النجاري، وضُربت منه دنانير كثيرة، وبُثّ في النّاس قطع سكّة بني عبيد وإزالة أسمائهم من الدنانير والدراهم وكذا البنود والأعلام38، وهو دليل قويّ على القطيعة، إذ لا يكفي قطع العلاقة السياسيّة لنُسمّي ذلك بالقطيعة إذ لابدّ من إتباع ذلك بالقطيعة الاقتصادية وهو ما حصل فعلاً في سنة 441هـ وفق قرينة قويّة وهي ضرب السكّة باسم أمراء بني زيري وإلغاء عملة الفاطميين.

2- الظروف العامّة لمصر قبيل هجرة القبائل العربية:

رحل الفاطميون إلى مصر سنة 362هـ، ولم تكن ظروف مصر القادمين إليها بأحسن ممّا خلّفوه بإفريقية والمغرب، فقد حالت الظروف الجديدة بمصر بينهم وبين إحكام قبضتهم على إفريقية، حتى أنّ حسين مؤنس وصف تلك الفترة بقوله "... فقد غرقوا في شئون مصر ومشاكلها"[39].

إنّ استقراء مختلف المصادر ومنها ما كتبه المقريزي، والسيوطي، وابن تغري بردي، والتي تكلّمت عن حالة مصر الاقتصاديّة في القرن 5هـ/11م، تكاد تجزم بأن الحالة كانت جدّ سيئة على جميع الأصعدة، يمكن تبيانها من خلال النقاط التالية:

2-1- توقف حركة القوافل: وذلك بفعل القبائل القاطعة للطريق، فقد ذكر السيوطي أنّ القبائل الهلاليّة في حدّ ذاتها قطعت على الحجيج بمصر الطريق وأُخذ من تلك القافلة عشرون ألف بعير بأحمالها وأموالها، هذه الحادثة جرت قبل تولّي الفاطميين شئون البلاد أي سنة 355هـ[40]، وتواصل نشاط تلك القبائل بعد تولّيهم زمام الأمور، ففي سنة 363هـ قطعت طائفة من بني هلال الطريق على حجيج مصر وقتلوا منهم، وسلبوا ما عندهم حتى تعطّل الحج تلك السنة[41]، ويبدو أنّ هذه الحوادث تكرّرت كثيراً بدليل توقّف حركة الحجيج من وإلى مكّة، مع عِظم تلك الرحلة في نفوس النّاس، فكيف بما دون ذلك من الرحلات التجاريّة لابدّ أنّها قد تعطّلت هي الأخرى، وهو ما سينعكس سلبا على الحياة اليوميّة لسكان مصر والوضع الداخلي للبلاد متجلّياً ذلك في ظهور الأوبئة والمجاعات وغلاء الأسعار.

2-2- الأوبئة والمجاعات: إن استقراء بسيطا للأوبئة والمجاعات التي حصلت بمصر في القرنين 4 و5هـ/10-11م تبيّن مدى كثرتها، هذه الأوبئة والمجاعات (مجاعات 444هـ، 446هـ، 448هـ، 455هـ، وغيرها) أدت في النهاية إلى انهيار اقتصادي كبير، وعجّلت برحيل القبائل الهلالية إلى المغرب منتصف القرن 5هـ/11م، ولا يُستبعد أن يكون ترحيل المستنصر لتلك القبائل إنّما لتخفيف الشدّة على بلاده[42]، ففي سنة 444هـ حدث غلاء كبير بمصر[43]، وكذلك نقص النيل وتزايد الغلاء وتبعه وباء شديد سنة 446هـ[44]، وحدث سنة 448هـ قحط شديد شأنه يتجاوز الوصف "وقيل أنّه ورد كتاب من مصر بأن ثلاثة من اللصوص نقبوا داراً ودخلوا، فوُجدوا عند الصباح موتى، احدهم على الباب والآخر على رأس الدرجة، والثالث في الدّار"[45]، فانظر إلى توالي هذه السّنون العجاف على مصر، وممّا زاد الطّين بلّة هو ابتداء الوباء والقحط الذي دام سبع سنين[46] وصفه السيوطي بأنّه لم يُسمع به من قبل منذ عهد يوسف عليه السلام، وذكر المقريزي أنّ ابتداؤه كان سنة 457هـ[47]. ولعظم هذا البلاء بعث أحد الشعراء وهو ابن الفضل إلى الخليفة العباسي يهنّئه، فأنشد قائلاً[48]:

وقد علم المصريّ أنّ جنوده سنو يوسف هولاً وطاعون عمواس
أقامت به حتى استراب بنفسه وأوجس منها خيـــفة أيّ إيجـــــــــاس

واشتد هذا الغلاء سنة 465هـ حتى قيل أنّ أهل البيت كانوا يموتون في ليلة[49]، ورُويت في ذلك قصصٌ تحار منها العقول، فالسودان كانوا يقفون في الطرقات يصطادون النساء بالكلاليب فيأكلون لحومهنّ[50].

والأمر الأكثر سوء أن هذا الغلاء والأوبئة والمجاعات لم تستثن أحداً، فقد عانت طبقة الخاصة من ذلك أيضاً، يقول صاحب النجوم الزّاهرة: "وحتى أنّ المستنصر هذا بقي يركب وحده وخواصّه ليس لهم دوابٌّ يركبونها، وإذا مشوا سقطوا من الجوع، وحدث أن استعار المستنصر بغلةً يركبها من صاحب ديوان الإنشاء..."[51]، ولا نستغرب إذا علمنا أن ذلك قد مسّ الخليفة وأهله "وكذلك نزحت أمّ المستنصر وبناته إلى بغداد خوفاً من الموت بالجوع"[52]، وازدادت الأمور سوء ببيع الخليفة كلّ ما في قصره من ذخائر وثياب وأثاث وسلاح وغيره وصار يجلس على حصير واحتاج إلى بيع حِلية قبور آبائه[53].

وكنتيجة لما سبق، فقد وصف ابن تغري بردي فترة حكم الخليفة المستنصر بقوله: " وعاش المستنصر سبعاً وستين سنة وخمسة أشهر في الهزاهز والشدائد والوباء والغلاء والجلاء والفتن... "[54].

2-3- إرهاق خزينة الدولة: فقد عرفت الخزينة نفقات كثيرة جُلّها كان يُصرف على الجيوش والحروب، مثل ما حدث في فتنة انقسام جيش المستنصر إلى فئتين: فئة الأتراك وفئة العبيد، وكان المستنصر يميل إلى الأتراك، فلمّا علم الأتراك بذلك قويت نفوسهم وكثرت أعدادهم وبالتالي: "زادت كُلفة أرزاقهم فخلت الخزائن واضطربت الأمور "[55]، وممّا يزيد في النفقات تجهيز الجيوش وإعدادها للحروب فإنّ ذلك يتطلّب أموالاً طائلة تُصرف من الخزينة، كما وقع في موقعة البُحيرة بين جيش المستنصر وبني قرّة من بني هلال، حيث انهزم فيها جيش المستنصر ممّا تطلّب الاستعانة بالعرب من طيء وكِلاب، وهو مالا يكون إلاّ بالنفقة عليهم[56].

وما يدلّ على حالة التخبّط التي عاشتها حكومة الفاطميين في تلك الفترة ما قامت به من إرسال القبائل الهلالية أو بالأحرى رؤوس القبائل الهلالية إلى المغرب وإعطاء لكل عابر بعير ودينار، ولم يكن عددهم بالمهمّ، ولكن عند نزول هؤلاء بأرض برقة ورؤيتهم لتلك الأراضي الرعوية الهامّة، أرسلوا إلى إخوانهم ممّن لم يجز، ولكن الحكومة المصريّة منعت ذلك إلاّ بأداء كل عابر لدينارين، فأخذوا أضعاف ما أعطوا، ونزل ممّن قدر على العبور إلى برقة حتى ضاقت بهم[57].

2-4- توجيه القبائل الهلالية إلى المغرب: كما أسلفنا سابقاً، فإنّ الأزمة الاقتصادية كانت قد ازدادت سوء بمصر، تزامن مع ذلك الدعوة إلى القطيعة السياسيّة من المعزّ بن باديس، فكان هذا سبباً في إرسال القبائل الهلاليّة بدعوى تأديب الأمير الزيري وإحكام السيطرة على إفريقية من جديد، يرى الباحث عبد الحميد خالدي 58 بأنّ هجرة تلك القبائل كان لسببين اثنين هما:

- الأزمة الاقتصادية التي شهدتها مصر والتي مسّت العالم الإسلامي في شقّه الشرقي.
- الرّخاء الذي تمتّع به نوعاً ما المغرب الإسلامي في نفس الفترة، ممآ رغّب تلك القبائل للهجرة نحو أراضي رعويّة جديدة.

رغم أن صاحب البيان المغرب ذكر أنّ إفريقية شهدت سنة 447هـ مجاعة عظيمة وجهد مفرط، وكذلك سنة 469 هـ "مجاعة عظيمة ووباء عظيم مات فيه من الناس خلق كثير"[59]، لكن يبدو أنّ المجاعات والأوبئة التي مسّت إفريقية في القرن 5هـ/11م لم تكن بنفس الحدّة والقسوة.

2-5- العبور نحو المغرب: كانت القبائل الهلالية بصعيد مصر تعيش في فقر وضيق، وكانت كثيراً ما تنشب بينها حروب طاحنة متتالية، فأصبحت تُشكّل خطراً على أمن الدولة المصريّة وعبئاً على خزينتها[60].

قام المستنصر بخطوة عظيمة كان لها الأثر الكبير في نجاح توجيه تلك القبائل إلى الضفة الأخرى من النيل ومن ثمّ إلى إفريقية والمغرب، هذه الخطوة تمثّلت في الإصلاح بين تلك القبائل المتناحرة فأنهى ما كان بينها من الضغائن والحروب ولو بصفة مؤقّتة (مثل ما كان بين زغبة ورياح)[61]، كما وعدهم بأنّ ما

يُفتح فهو لهم (وهو ما كان يُمثّل أكبر غاية في الحصول على أراضي رعوية جديدة)، وأرسل الوزير المقهور (الذي خاطبه المعزّ بصنعته ومهنته) يُهدّد المعز بقوله: "أمّا بعد: فقد أرسلنا إليكم خيولاً فحولاً، وحملنا عليها رجالاً كهولاً ليقضي الله أمراً كان مفعولاً"[62].

وكما ذكرنا سالفا اختلاف المؤرّخين في تحديد سنة القطيعة، كذلك نجد بعض الاختلاف في سنة دخول الهلاليين إلى إفريقية، فابن عذاري يحدّدها بسنة 443هـ[63]، أمّا ابن كثير فيجعل سنة 442هـ كبداية لاجتياح القبائل الهلالية لإفريقية[64]، ويخالف ذلك مبارك الميلي إذ يرى أن سنة دخول الهلاليين 441هـ وفي نظره "للظفر والانتقام من المعزّ"[65]، وأيّاً كانت سنة دخول تلك القبائل لإفريقية، فإنّها قد اجتاحت إفريقية بعد المعركة مع الزيريين بحيدران سنة 443هـ، كما أنّها انتشرت بقوّة بالمغرب الأوسط بعد هزيمتها للناصر بن علناس في موقعة سبيبة سنة 457هـ.

وقد تتبّع الميلي الجهات التي دخل منها الهلاليّون إلى المغرب الأوسط وكان على ثلاثة جهات هي:

- جهة الساحل حيث قبائل كتامة[66].
- جهة ما بين الأطلس التلّي والصحراوي حيث القبائل الصنهاجيّة.
- جهة الصحراء حيث القبائل الزناتيّة[67].

وكما ذكرنا سابقاً فإن تلك القبائل دخلت إلى إفريقية والمغرب بحثاً عن أراضي رعوية وزراعيّة جديدة ولم يكن همّها تخريب المدن وجمع الغنائم، وما أورده المقريزي في اتعاظ الحنفا فيه كفاية إذ يقول: "ووصل كثيرٌ ممّا نُهب من قصور بني باديس من الأسلحة والعُدد والآلات والخيام وغيرها إلى القاهرة"[68]، إذ لو كانت تلك القبائل تبحث عن الغنائم لما أرسلتها إلى بلاط الفاطميين بمصر بهذه الكميّة.

وبهذا تمّ دخول الهلاليين إلى المغرب، فاستقرّ بنو سُليم ببرقة بينما مضى بنو هلال إلى الغرب نحو إفريقية، وقد وصفهم ابن خلدون بوصف ينمّ عن كثرتهم بقوله "كالجراد المنتشر"[69].

3- حقيقة إفساد العرب بإفريقية ومدى مساهمة صنهاجة في ذلك:

تصوّر لنا بعض المصادر تلك الصورة السوداويّة للقبائل الهلالية، وتصفها بالهمجيّة وتطنب في ذكر الفساد الكبير الذي طال المدن جرّاء دخول الهلاليين كالقيروان مثلاً، وتبعهم في ذلك بعض المستشرقين الذين وصف بعضهم تلك القبائل بالكارثة وبداية انحطاط الحضارة بالمغرب الإسلامي - الهادي روجي إدريس، جورج مارسيه، روبار برنشفيك... -، ولكن نسي أولئك أو تناسوا الدور الذي لعبه أمراء صنهاجة من الزيريين والحمّاديين في تلك الحوادث، فعند نزول الهلاليين أرض إفريقية كانت أوّل محاولة من المعزّ بن باديس في استمالة وتقريب رئيس رياح مؤنس ين يحيى وضمّ قبيلته ضمن جنده وذلك ضدّ بني عمومته الحمّاديين، فقام المعزّ بإكرامهم وبذل لهم الشيء الكثير[70].

لقد كان للموقف الذي وقفه المعزّ من أمير رياح الأثر الكبير في تخريب القيروان، فبعد أن حذّره مؤنس من مغبّة دخول العرب إلى افريقيّة، قام المعز باتّهام مؤنس بتأليب العرب عليه، فقبض على أهله وسجنهم، فما كان من مؤنس إلاّ إعلان الحرب قائلا بعد أن بسط لهم رداءه: هل يستطيع أحد أن يبلغ وسطها دون أن يطأ حواشيها، قالوا: لا، فقال: كذلك القيروان لا نملكها إلاّ إذا ملكنا ضواحيها[71]، وبعدها كانت الهزيمة للمعزّ وجيشه وكان سبباً في دخول القيروان وتخريبها، وهنا نجد ابن خلدون يحاول تفسير محاولة المعزّ الاستعانة بمؤنس في قوله: "فحاول المعزّ استمالته واستدعاه واستخلصه لنفسه وفاوضه في استدعاء العرب من قاصية وطنه للاستغلاظ على نواحي بني عمّه"[72].

ومن أهمّ مظاهر مساهمة صنهاجة في الخراب الذي مسّ المغرب بصفة عامّة، سياسة التحالفات التي انتهجتها الحكومات بالمغرب مع تلك القبائل، فنجدها تارة مع هذه القبيلة وتارة مع قبيلة أخرى مثل ما وقع في موقعة سبيبة 457هـ[73]، كذلك ما قام به تميم بن المعز من الاستعانة بالعرب من زغبة ورياح في قتال صاحب مدينة صفاقس حمو بن ومليل[74]، وما قام به هذا الأخير من استعانته بالعرب وسيره بهم لمحاصرة المهديّة 75، وما قام به أمراء بني زيري مثلاً: تميم بن المعزّ حين محاصرته مدينة قابس، فضيّق على أهلها "وعاثت عساكره في بساتينها المعروفة بالغابة فأفسدوها"[76].

وأمر المعز ابن باديس بأن يتحوّل أهل صبرة وسوقتها إلى القيروان، وأن ينتقل العسكر من القيروان إلى صبرة، فخربت العمارة العظيمة في ساعة واحدة[77].

إذا فليس من الإنصاف إسقاط اللّوم فقط على القبائل الهلاليّة، إذ لابدّ من الأخذ بعين الاعتبار الطبيعة البدويّة لتلك القبائل وكذا التكوين الأنثروبولوجي لها، والموطن الأوّل للهلاليين، قال ابن الأثير "وبالتالي تمّ للعرب ملك البلاد، فقد جاءوا في ضيق وفقر وقلّة دواب، فاستغنوا وكثرت دوابهم وسلاحهم"[78]، كما لا يمكن إغفال الدور الذي لعبته صنهاجة بفرعيها الزيري والحمّادي، فالأوّل كان السبب في دخولهم للقيروان وإفريقية، والثاني كان السبب في انتشارهم بالمغرب الأوسط.

ويبدو أنّ البداوة لم تكن صفة للقبائل الهلالية فقط، فهناك من يرى أنّها صفة حتى لأمراء صنهاجة كالباحث حسين مؤنس في قوله "وإذا كانوا لم يُوفّقوا في الوصول ببلادهم إلى أحسن مما استطاعوا فإنّ الذنب كلّه لم يكن ذنبهم، وإنّما يرجع ذلك إلى قلّة نصيبهم من الحضارة والتثقيف، فقد كانوا رؤساء قبليين في ثياب أمراء"[79].

3-1- ما هو السبب في الهجمة الشرسة على العرب الهلاليّة؟ تعرضت القبائل الهلالية على مدى قرون من الزمن لهجمة شرسة، تتّهمها بالخراب الكبير الذي مسّ المغرب، ولكي يكون المرء موضوعيا في طرحه لابدّ من معرفة سبب هذه الهجمة، لعلّنا نلخّصها فيما يلي:

يُجيب مبارك الميلي على ذلك بقوله: "أنّ هؤلاء المؤرخون أو الذين كتبوا عن قبائل بني هلال كتبوا لدول بربريّة، بينما لم يكن للهلاليين حكومة تطمعهم في إنعامها، ومن جهة أخرى لم يكن للهلاليين من اهتم بدعاية سياسيّة تنشر لهم أو عليهم"[80].

كذلك يُحدّثنا الباحث الطاهر بونابي عن سبب آخر تحامل فيه المؤرخون على تلك القبائل ولعلّه سبب يُبعد صفة التخريب عنها، ألا وهو: استنكاف مؤرخي المناقب السلطانيّة عن كشف جرائم ومعايب مولاه أو تحميله تبعات الخراب المتواصل[81]، بل بالعكس من ذلك نجد الهلاليين فيما بعد قد أسهموا في مجال الحرف ومختلف الأنشطة كالفلاحة والحياكة وغيرها، واشتهر سلاطين بنو زيّان باقتناء البُسط (جمع بساط) الملوكيّة[82].

هناك سببٌ آخر يُفسّر لنا تهويل صورة خراب القيروان، هو صدمة النُّخبة القيروانيّة بهزيمة المعزّ وفقدان السيادة على المدينة، فكانت مأساتهم هي مأساة القيروان فقط، ومن هؤلاء: محمد بن سعدون بن علي بن بلال (ت 485هـ) الذي ألّف كتاباً سمّاه: تعزية أهل القيروان بما جرى على البلدان من هيجان الفتن وتقلّب الزمان، وكذلك ابن شرف الذي نقل عنه ابن عذاري نصوصاً تُبيّن لنا ما ألمّ به من فاجعة[83].

3-2- إسهامات الهلاليين في الجانب الديني: رغم كلّ ما قيل عن القبائل الهلالية من تخريب للمدن وفساد وقتل وغيرها، إلاّ أنّنا نجد في كثير من النصوص الواردة في طيّ المصنّفات التاريخية ما يوحي

بذلك الشعور الديني وكذا الإحساس بالانتماء للدين الإسلامي، وهو ما تجسّد في كثير من المواقف التي تُحسب لتلك القبائل العربية.

ما يؤكّد ذلك شعر بدر التهامي يترجى بواب قصر شكر صاحب مكة وزوج الجازية، إذ الملاحظ فيه هو ذاك الشعور الديني الخالص والحبّ الكبير لزيارة قبر النبيّ ﷺ[84]، كذلك ما ذكره ابن الأثير من أنّ روجار عرض على العرب الهلالية (الأثبج- رياح- عدي- زغبة وغيرها) أن يمدّهم بخمسة آلاف فارس من الفرنج لقتال عبد المؤمن بن علي، فشكروه وقالوا له: "ما بنا حاجة إلى نجدته ولا نستعين بغير المسلمين"[85].

وأهمّ من ذلك مساهمة تلك القبائل في حركة الجهاد ضدّ النصارى فقد أسهموا في صدّ هجمات النورمان على المهدية سنة 517هـ وسنة 561هـ، كما كانوا جنداً في جيوش الموحّدين ضدّ نصارى الأندلس[86].

وقد خرج من بين هؤلاء الهلاليين دعاة وعلماء ذاع صيتهم، منهم سعادة الرياحي والذي كان بطولقة من أرض الزاب، تفقّه على أبو إسحاق التسولي، ثمّ عاد إلى مسقط رأسه ليعلّم ويقيم السنّة[87]، ومن العلماء العالم الزاهد قاسم بن مرا بن أحمد من بني كعب، له طريقة على مذهب شيخه بالقيروان شيخ الصلحاء أبو يوسف الدّهماني، وأخذ في محاربة العرب ممّن يقطعون السابلة والمفسدين[88].

ومن مظاهر تمسّك الهلاليين بالدين بناؤهم للزوايا، فقد ذكر التيجاني في رحلته من أنه اجتاز على زاوية تُعرف بزاوية أولاد سهيل قومٌ من العمور، وصفها بقوله "وهي رابطة حصينة يحفّ بها شجرٌ كثير من التّين والرمّان والخوخ وغيرها، ولها أرضٌ متّسعة تُعرف بالسابرية"[89]، وكانت بداخلها الكتب الكثيرة[90]، كما ذكر زاوية أخرى أكبر من الأولى تُعرف بزاوية أولاد سنان لصاحبها: عبد الله بن دباب بن أبي العزّ بن صابر بن عسكر بن حميد بن جارية[91].

الخاتمة:

من خلال كل ما سبق ذكره يمكن أن نستنتج ما يلي:

يبدو أنّ القطيعة السياسية الحاصلة بين الزيريين والفاطميين كانت سبباً مهماً في ترحيل المجموعات القبلية الهلالية إلى المغرب الإسلامي، من جانب آخر أسهمت الأزمة الاقتصادية التي شهدتها مصر في القرنين 4هـ-5هـ/10-11م والتي لاحت بظلالها على كل مستويات الحياة اليومية لسكان مصر في عبور القبائل العربية نهر النيل ومن ثمّ إلى برقة وإفريقية والمغرب ككلّ، وكان توجيه تلك القبائل من طرف الحكومة المصرية لفكّ الضغط وتخفيف وطأة تلك الأزمة ومظاهرها المتمثّلة في المجاعات والأوبئة وغلاء الأسعار وغيرها.

كما لا يمكن تحميل الهلاليين كل ما جرى من التخريب والتدمير الذي طال مدن وعمران المغرب، إذ لابدّ من الأخذ بعين الاعتبار المواطن الأولى لتلك المجموعات القبلية، وكذا مدى مساهمة أمراء صنهاجة في خراب المدن المغربيّة، إذ نجد أنّ هؤلاء الأمراء بحثوا عن سياسة التحالفات مع القبائل العربية من أوّل وهلة، وهو ما حدث للمعز الصنهاجي مع مؤنس الرياحي، هذا الأخير استباح القيروان بعد بطش المعزّ بأهله، وخير دليل على ذلك معركتي جبل حيدران 443هـ، وسبيبة 457هـ.

وفي الأخير يمكن القول بأنّ دخول الهلاليين إلى أرض المغرب كان سببه اجتماع السببين معا: القطيعة بين صنهاجة والفاطميين، وكذا الأزمة الاقتصادية الخانقة التي عاشتها مصر آنذاك ممّا جعل ترحيل تلك القبائل أمراً لابد منه ومتنفّساً للحكومة المصريّة.

ويجدر بنا في الأخير التذكير بذلك البعد الديني للقبائل العربية الهلالية - السليميّة، والحسّ والشعور الديني لتلك القبائل، ما جعلها تنضمّ في حركة الجهاد ضد النصارى في الأندلس، وهذه النقطة يجب الغوص فيها والاستثمار البحثي الكثيف اتجاهها وأفراد ورقة بحثيّة خاصة بها.

الهوامش:

[1]- غلب اسم القبائل الهلالية على القبائل العربية الداخلة إلى المغرب الإسلامي رغم أن غالبيتهم كانت من بني سليم، قال حسين مؤنس: "ومع أنّ العرب الذين دخلوا مصر واستقرّوا فيها كانت غالبيتهم من بني سليم فإنّ اسم بني هلال غلب عليهم جميعاً، لأنهم كانوا أوغل قي البداوة وأعنف من بني سليم في معاملة الناس وإنزال الضرر بهم، فأصبح الكلّ ينسبون إلى هلال بن عامر بن صعصعة وسمّوا هلاليين أو هلاليّة"، حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، القاهرة، مصر، ط 5، 2000، ص 168.

[2]- أحمد بن أبي يعقوب الشهير باليعقوبي (ت284 هـ)، البلدان، تحقيق محمد أمين ضنّاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت)، ص 151.

[3]- نفسه، ص 154.

[4]- عبد الرحمان ابن خلدون (ت808هـ)، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (د.ط)، 2000، ج 6، ص 15.

[5]- نفسه، ج 6، ص 18.

[6]- نفسه، ج 6، ص 18.

[7]- حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 166.

[8]- إبراهيم جدلة، دراسات حول تاريخ بعض مدن إفريقية وقبائلها في العصر الوسيط، الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم، تونس، (د.ط)، 2018، ص97.

[9]- ابن خلدون، المصدر نفسه، ج 6، ص 18.

[10]- حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 167؛ تقي الدين أحمد بن علي المقريزي (ت 845هـ)، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمّة الفاطميين الخلفا، تحقيق: محمد حلمي محمد أحمد، لجنة إحياء التراث بوزارة الأوقاف، القاهرة، مصر، (د.ط)، 1971، ج2، ص 216.

[11]- مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم وتصحيح محمد الميلي، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، (د.ط)، 2004، ج2، ص 179.

[12]- عبد الله خورشيد البري، القبائل العربية في مصر في القرون الثلاثة الأولى للهجرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، (د.ط)، 1992، ص 134.

[13]- مبارك الميلي، المرجع السابق، ج2، ص 179.

[14]- إبراهيم جدلة، المرجع السابق، ص 97.

[15]- ابن عذاري المراكشي (متوفي بعد سنة 762هـ)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج. س كولان، وليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط 3، 1983، ج 1، ص261.

[16]- تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص 68.

[17]- عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر نفسه، ج 6، ص 06.

[18]- تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص 216.

[19]- أحمد بن أبي يعقوب الشهير باليعقوبي، المصدر السابق، ص 190.

[20]- حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 165.

[21]- نفسه، ص 165.

[22]- عز الدين بن الأثير (ت637هـ)، الكامل في التاريخ، تحقيق: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1987، ج8، ص295؛ عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر نفسه، ج 6، ص 19؛ تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص ص 212-213.

[23]- عز الدين بن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص114؛ ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج 1، ص 268؛ ابن كثير (ت 744هـ)، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، مصر، ط 01، 1998، ج 15، ص 570.

[24]- ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج 1، ص ص 273-274.

[25]- نفسه، ج 1، ص 277.

[26]- نفسه، ج 1، ص ص 277-278.

[27]- حسين مؤنس، المرجع السابق، ص ص 163-164.

[28]- عز الدين بن الأثير، المصدر السابق، ج08، ص 114؛ ابن كثير، المصدر السابق، ج 15، ص 570؛ ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج 1، ص 268.

[29]- عز الدين بن الأثير، المصدر السابق، ص 266 - تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص 190 . ابن كثير، المصدر السابق، ج 15، ص690.

[30]- ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج 1، ص 275

[31]- عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر نفسه، ج 6، ص 19.

[32]- عز الدين بن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص 295

[33]- ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج 1، ص 274.

[34]- حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 165؛ مبارك الميلي، المرجع السابق، ج 2، ص 180؛ شمس الدين الذهبي (ت 748هـ)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعيان، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط 1، 1993، ج 29، ص 337.

[35]- ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج 1، ص 274.

[36]- نفسه، ج 1، ص 277.

[37]- جمال الدين ابن تغري بردي (ت 874 هـ)، النجوم الزّاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تقديم: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1992، ج 5، ص 52؛ ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج 1، ص 280.

[38]- ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج 1، ص 278.

[39]- حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 162.

[40]- جلال الدين السيوطي (ت 911 هـ)، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ط 1، 1968، ج 2، ص279.

[41]- نفسه، ج 2، ص 280.

[42]- فوزية كرراز، السيطرة الاقتصادية الهلالية بالمغرب الإسلامي، مجلة كان التاريخية، العدد 12، يونيو 2011، ص 51.

[43]- تقي الدين أحمد بن علي المقريزي (ت 845هـ)، إغاثة الأمة بكشف الغمّة، تحقيق: كرم حلمي فرحات، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، مصر، ط 1، (د.ت)، ص 93.

[44]- شمس الدين الذهبي، المصدر السابق، ج 30، ص 18.

[45]- نفسه، ج 30، ص 25.

[46]- جلال الدين السيوطي، المصدر السابق، ج 2، ص 288؛ شمس الدين الذهبي، المصدر السابق، ج 30، ص 297.

[47]- تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، إغاثة الأمة، ص 98.

[48]- شمس الدين الذهبي، المصدر السابق، ج 31، ص 09.
[49]- جلال الدين السيوطي، المصدر السابق، ج 2، ص 288.
[50]- نفسه، ج 2، ص 288؛ جمال الدين ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج 5، ص ص 19-20؛ تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، إغاثة الأمة، ص 98.
[51]- جمال الدين ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج 5، ص 04.
[52]- نفسه، ج 5، ص 04.
[53]- تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، إغاثة الأمة، ص ص 98-99.
[54]- جمال الدين ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج 5، ص 05.
[55]- شمس الدين الذهبي، المصدر السابق، ج 31، ص 18.
[56]- عز الدين بن الأثير، المصدر السابق، ج08، ص ص 302-303.
[57]- ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج 1، ص 288؛ عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر نفسه، ج 6، ص ص 19-20، مبارك الميلي، المرجع السابق، ج2، ص 180.
[58]- عبد الحميد خالدي، الوجود الهلالي السليمي في الجزائر، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ط)، 2007، ص ص 108-109.
[59]- ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج 1، ص 294 وص 300.
[60]- حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 167
[61]- عز الدين بن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص 296.
[62]- عز الدين بن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص 296؛ تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص 216.
[63]- ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج 1، ص 291
[64]- ابن كثير، المصدر السابق، ج 15، ص 316.
[65]- مبارك الميلي، المرجع السابق، ج 2، ص 180
[66]- نفسه، ج 2، ص 182.
[67]- نفسه، ج 2، ص184؛ عبد الحميد خالدي، المرجع السابق، ص ص 158 -159.
[68]- تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص 215.
[69]- عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر نفسه، ج 6، ص 20.
[70]- عز الدين بن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص ص 296-297؛ مبارك الميلي، المرجع السابق، ج 2، ص 181.
[71]- مبارك الميلي، المرجع السابق، ج 2، ص 181.
[72]- عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر نفسه، ج 6، ص 20.
[73]- عز الدين بن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص ص 372-373؛ ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج 1، ص 290 عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 21؛ شمس الدين الذهبي، المصدر السابق، ج 30، ص 289.
[74]- عز الدين بن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص 363؛ ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج 1، ص 299.
[75]- ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج 1، ص 363.
[76]- نفسه، ج 1، ص 426.
[77]- عبد الحميد خالدي، المرجع السابق، ص 118؛ إبراهيم جدلة، المرجع السابق، ص ص 34-35.
[78]- عز الدين بن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص ص 372-373
[79]- حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 175.
[80]- مبارك الميلي، المرجع السابق، ج 2، ص 186.

[81]- الطاهر بونابي: مظاهر المجال والدين والمجتمع بالمغرب الأوسط خلال العصر الوسيط، سلسلة الكتب الأكاديمية لكليّة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة المسيلة، الجزائر، (د.ط)، 2017، ج 8، ص173.

[82]- نفسه، ج 8، ص 180.

[83]- إبراهيم جدلة، المرجع السابق، ص 36.

[84]- حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 169.

[85]- عز الدين بن الأثير، المصدر السابق، ج 8، ص 390.

[86]- إبراهيم جدلة، المرجع السابق، ص 105.

[87]- عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر نفسه، ج 6، ص 51.

[88]- نفسه، ج 6، ص106.

[89]- عبد الله بن محمد بن أحمد التجاني (ت حوالي 717هـ)، رحلة التجاني، تقديم: حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا، (د.ط)، 1981، ص 212.

[90]- نفسه، ص 213.

[91]- نفسه، ص214.